

من الذي يستطيع أن يتصور الحياة كلها عابسة مقطبة الجبين مكفهرة المظهر؟ وإذا كان ثقیل لا يُحتمل، وهي بغير فكاهاة تثیر الضحك جافة مملة محلولة. وسبب هذا أنها ملأى بالمشقات والمتاعب والآلام، والضحك هو المتنفس الذي يخفف ضغطها وينسي همومها ويلقي بعض أثقالها ويحرر من قيودها الشداد زما يطول أو يقصر. ومن هنا كان الضحك نزعة غريزية لها قيمة عظيمة في حفظ حياة الفرد وحياة المجموعة: فأما أثره في الفرد فإنه يتناول نفسيته وأعضاءه. أو وسيلة لترويح النفس من متاعب العقل، أو تنفيسا عن الطاقة الحيوية الزائدة عن الحاجة، أو سلسلة أعمال عكسية تساعد على تشنّج الحجاب الحاجز وتقوية الجهاز الصوتي والتنفسي. وأما آثاره الحيوية في المجتمع فهي قائمة على أن الناس مترابطون في سرائهم وفي ضرائهم ترابطا اجتماعيا وثيقا بطريق المشاركة الوجدانية. إننا نضحك حين تقع لقمة من فم إنسان حين يأكل، لكننا نبكي إذا وقع الصغير من فوق الشجر فانكسر.